

● انه المسرح .. المسرح / عبد الكبير الخطيبي

صدر للاستاذ عبد الكبير الخطيبي هذه السنة كتابان بالفرنسية ،
الاول مسرحية بعنوان : « النبي المقتنع » عن دار « هارلمان » .
والثاني رواية بعنوان « كتاب الدم » عن دار جاليهار .

« النبي المقتنع » مسرحية نعيد بحرية كتابة قصة حكيم بن هشام
المسمى بالنبي المقتنع ، ادعى النبوة في القرن الثامن الهجري بآيران ، وهذه الكتابة
الخاصة تجمع ما بين الماضي والحاضر ، ولذلك نأخذ بعدها مع انتصار
الثورة الشعبية الايرانية .

انبت الاستاذ الخطيبي في نهاية الكتاب كلمة عن وجهة نظره في المسرح
نقريهما للقاري . بغير عنوانها الاصلي .

ولكن المسرح لم يمت ابدا . لانه تأسس في الاصل اعتمادا على قانون المصير الدرامي ،
لانه مستقي بشعر ساطع كان يداعب الآلهة بثينا كما لو انها افكار محبوبة ، تهيج نبشوة العاطفة ،
سكر الفكر الامحود ، رافعة ومعلية مصير الانسان نحو اللعبة الكبرى للمسرح الكوني ، فاشرة
فرع الجسم والصوت في فضاء مسحور بالاساطير ، واطفال الاواعي - الاحلام الالمة - كانوا
يلطفون غوايتها بأكتليل زهر الموسيقى والرقص ، باندماج اللغة في لغة قبلية قديمة ، ملتحمة
بالجسد الانساني ، ملتحمة أكثر بحيث كان يلزم تعزيز فلسفي للآلهة والاساطير العظيمة لتقريب
الفكر الثالث من عالمها ، لالتقاط الرموز منها ، تلك المسجلة في الحيوان المكبوت ، في الفتنة
اثناء يقظتها والعناصر الاربعة للنظام البشري ، في المسرح الكوني ، كان الانسان يحاكي للطبيعة ،
وكانت هذه تشيد من أجل رغبته الخاصة مسرحا في الجسد والفكر الانساني ، كانت تلاعب
مصيره وموته ، والانسان ، يتحوله الى شخصية داخل هذا المسرح الكوني ، كان يكتشف
رعب حدوده ، باحثا صحبة فن فزع وماكر عن الجمال الطبيعي ، الذي لم يقص ابدا ، لم
يتنقل ابدا ، لم ينتف مطلقا ، والذي كان يعيش في الحنين الى هذه اللغة القبلية ، كان الانسان
يتحاشى رعبه في رموز مشبكة ، رموز كانت تعين الغياب المشع لفكره ، مائثة ، غازية كل فضاء
وكل زمن بحدث الاسطورة ، كلما كانت تجي ، اسطورة عظيمة ، يكون تاريخ الشعوب مرتجا ،
ومن جديد كان يبرز مؤسسون للقانون ، غزو وراء غزو مصاحبا الاسطورة تلو الاسطورة ، حاملا
ماسي دامية جديدة للمرثي واللامرثي ، الى ان ارتعش الانسان لكونه مسلسلا بالوحدة القائمة
للمرثي واللامرثي ، وحدة مخيفة ، دموية ، للمرثي واللامرثي ، واذا ولدت أورفي ، ولدت أوديب ،
ولدت وجوه متعددة ، وجوه رائعة متعددة لازمت ايمان القابلين للموت ، لا التفات ، لا رؤية ،
المشي ، مكابدة الالم ، والعيش محكوما بالتفني متألما ، كان المرثي يتمزق داخل جسد الانسان
المضجر على السعي الى المستحيل ، على السقوط فيما هو اشد انحطاطا من وحشية البهائية ،
على اذمال الامهات الزنايات ، على قتل آباءه وأورفي مجتذبا ومستهويا مسمع الحيوانات ، لم
يكن يعرف أن الطبيعة الشيطانية ، كانت تتسلل به في المسرح الكوني ، ساذجا كان ، ساذجا
في الحب والموت ، يغني اللامرثي الذي كان يتوارى عن موسيقاه المفقوتة والغائبة . فسخت
جسده الهيجانات بينما كان موته المنشد يتجسد ، لكننا نحن المتأخرين ، الجفص المتأخر ،
نحن وغانيو الآلهة المتلاشية والحكايات المهجورة . نحن نولم شهزاد الماكرة بالكلمة السهلة ،
نحن عشاق الحكاية الخرافية ، نرغب في مثل قربان الآلهة الاغريقية لهذا الشعب الوثني ، الذي
كان يعتبر مسرح العالم مسرحه الخاص ، كان يلزم كبرياء لا حدود له وشعر لا حدود له من أجل
ان يظهر المسرح ، المسرح ، المسرح ! كان يظهر ، ليس فقط كتجمل للأشياء والكائنات (خيالية
وحقيقية) ، ولكن النجلي نفسه ، المرثي نفسه ، كانا قد أسرا من قبل مسبقا حسب العودة

الخالدة للمسرح الكوني ، عودة تسحب من الإنسان خيلاء كإنسان ، أو لم تكن طبيعتنا الشعرية ملجأ مسكونا بهذا المسرح واذن سأقول لك بهوء ، بصميمة ، أعق الى حد اللحن ، بأن المسرح لم يمت قطما ، انه لن يختفي الا باختفاء الشعر ، معنى ذلك عندنا ، بنهاية اللغة الانسانية ، المسرح ! المسرح شعر : يلزمه أن يمتلك الصرامة ، العنف المحتال ، والفرح «الديونيسي» ، مما هو لازم لبناؤه : الشخصية حزمة من كلمات وحركات تتخلل صمت كل حياة ما تزال ممكنة ، الشخصية رمز ، شارة تتوج نفسها بفكرتها الخاصة ، انها تطلق نفسها بنظيرتها المتميزة في الظهور ، في المرئي واللامرئي ، الشخصية : رمز ، نعم ، رمز ، بمعنى انه لعبة على حدود الحقيقي ، مؤتلفة على ما لم يكنه للإنسان قط ، بمعنى شاعر الجمال المفكر لاشياء ، شاعر جسيد المرئي ، شارة من بين الشارات ، في المسرح الكوني ، المسرح ! المسرح ! المرشح ! انه يصرح من العالم يحدث مأساوي ، حادث رغبة بدائية ، وعائدة ، تنطلق هذه الرغبة في شطايا داخل سكر رقصة الدراويش الجوالين ، اضحك والقتل ، وأدير فكرة المسرح صوب الشرق المنسي ، وحيث ما تزال تعرض الفرجة الانتشائية أمام أعيننا ، لكن عنصرها الأكثر سرية والاكثرا غمما مخصص للمطلعين على الاسرار ، المسرح ! المسرح ! سأقول لك على مهل ، وبهنا لاحت - بأن هذا المسرح البدائي ما يزال يحيا في كل رغبة موجبة نحو الاشتيا ، والمسرح الكوني : لفصن فكرة الاشتيا هذه ، فكرة الجمال هذه ، لكنه جمال متحول الى مسرح متجاوز الاساطير القديمة والحكايات الشائخة ، لنصن حالات الموجدة ، هذا الغضب الرافض ، وهذا التقطيع للمتعة ، لنردد بعنا ، ندانا لمنشوة الرغبة من أجل أن تسطع فكرة المسرح العظيم ، الذي هو مأساوي الى النهاية ، متناقض مع الحياة ومع الموت ، مسرح مطرق بالسهر الشرس ، مرشح ايضا بالضحكة وبالمزاج الساخر من نفسه ، لا يلزم فقط مسرح داخل المسرح كتجمل للتجلي ، ولكن ايضا يلزم الانتقاء من ذلك بمفاعيم المرئي واللامرئي ، يلزم ادخال ما قد يرى ويلاحظ ويلبس بواسطة الحواس المثقفة للإنسان ، في هيئة الممثلين وفي كل ما ينتظم عليه المسرح ، ارعاش كل هذا المشهد بجمال فظيع ، مقبول تقريبا ، أريد أن أقول أخيرا : مسرح لا انساني ، حيث يصبح الإنسان « العبقري الودود » لكل شيء : المسرح ! المسرح ! نعم بالكلمة الشعرية وبالحركة ، نعم بالصورة الحية ، بالانشاد ، بالموسيقى والرقص ، كل شكل ، يتحوّل في الاشكال الاخرى ، وتوطيده لاساس النابع من كل فن ، النابع والمتدفق في اللغة البدائية المسجلة في كل شيء ، مدفوعة الشيء صوب الجمال المفكر ، ويتحكم في هذه المجموعة من الاشكال المنسجمة ، ينبغي للمسرح المتسم بالخطورة ان ينزل الى الحرم الكوني للرغبة - وحدة مزدوجة للموت والحياة - يلزمه ان يرتفع بالارض ، مبدا الارض نحو نهاياته الانتشائية ، على المخرج ان يبرز هذه الوحدة الممزقة ، عليه ان يبعث في كيان الممثلين ، في صوتهم وفي جهازهم العضلي مقتضيات الحركات البخارئة ، عليه ان يصير باهتمام متزايد على أن يشوش كونيا فضاء المسرح ، على ان يمحوره ، ويوجهه نحو انفجار للخارق ، خارق مخدوم بدقة المفكر لكل شيء ، هناك حيث يستمر في الحديث عن نفسه الشيء المشوه ، مفصولا عن اصوله بواسطة احتيال ساحر ، عليه ان يثير سحر الجسد والفكر هذا ، هناك حيث يسهر الجمال ومكسورا في نموه ، هنالك حيث قلب وفكر الإنسان مهاجمان أكثر من أي وقت آخر ، مسؤومان ومقيدان بالموت المنيب أكثر من أي وقت آخر ، ينبغي ان نظهر لهذا الإنسان ، في مسرح يكون قريبا الى نفسه ومع ذلك غير محتمل أصلا ، مسرح مستدعي من جديد بواسطة المأساوي ، ان نظهر له اذن انحطاط جسده وكيانه ، ان نرعيه باناء ولكن دون اغاثة داخل قواه التي تفتقره ، لكي يتمكن ، مستشعرا خرابه بخطورة ، من أن يخرج من حدود الحياة : حينئذ سيظهر جمال آخر للمصير ، مسرحنا على المشهد الكوني .